تحيّزات خطاب الاستشراق، سلطة التّمثيلات و انتفاء علاقة المعرفة بالقوّة

Biases in Orientalist Discourse: The Authority of Representations and the Disjunction of the Knowledge-Power Relationship

سليم حيّولة*

تاريخ الإرسال: 2024/10/22	تاريخ القبول:2024/12/31	تاريخ النشر:31 /2024/12

ملخّص

تُساهم التّمثيلات التي يحتويها الأدبُ والفنّ عموما، في شحن رؤية الشعوب لبعضها، وتكوين مخزون قيمي، يُستعمَل كلّما دعت الحاجةُ إلى تقديم صورة شعبٍ ما، وتوظيفها لأغراض جمالية وفنّية وسياسية واجتماعية، ويزداد هذا الأمر كثرة وقوّة، في سياق الصراعات والأزمات الاجتماعية والسياسية، خصوصا في عالم اليوم، الذي بلغت في خلاله عملياتُ التّشويه للآخر؛ غير الأوروبيّ (الشرقي والإفريقي)، المُختلِف "ادّعاءً"، في لغته وثقافته، درجةً لم يسبق الوصولُ إليها في تاريخ العلاقات الثّقافية بين الشعوب والأمم، خصوصا في الكتابات الأدبية وفي وسائل الإعلام الغربيّة عموما، فقد عملت الأحكامُ المُسبَقة، المبنية بفعل عوامل نفسية وعقلانية، على تكوين تمثيلات حول الآخر، انطلاقا من الوعي بالذّات، واستخلاصا منها، مشحونة بنظرة عدائية، منتقِصة وغير موضوعية، ساهمت في وقوع إشكالات كثيرة وصراعات متعدّدة، ويحفَل خطاب الاستشراق، باعتباره رؤية الغرب للعوالم الشرقية بتمثيلات عديدة؛ سلبية في الكثير من الأحيان، نظرا للصراع

*- جامعة يحي فارس بالمدية haioula@yahoo.fr

الذي بدأ بين أوربا والمسلمين، منذ ظهور الإسلام، عبّرت عنها الحروب مع الإمبراطورية البيزنطية خلال فترة طويلة، ثمّ الحروب الصليبية، ابتداء من نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، لتتواصل مدّة قرنين كاملين، وتعبّر عن الصراع الحادّ بين جوهر الفكر الدّيني المسيحي-الأروبي والإسلام، وكذلك حروب السيطرة التي قادتها جيوش المسلمين في الأندلس ضدّ مملكة الشمال وممالك أروبا، إلى حين اندحارها، بالإضافة إلى الحروب الكثيرة بين الخلافة العثمانيّة وأروبا، برّا وبحرا، والحروب البحرية للأسطول الجزائري في البحر المتوسّط، ثمّ حملات الاستعمار في القرن التّاسع عشر، التي لم تطل البلاد العربية-الإسلاميّة فحسب، بل جلّ البلدان الإفريقية والآسيوية،وهي أحداثٌ ميّزت ما يفوق ألفَ سنة من الصراع والإشكالات الحضارية والفكريّة، والاستشراق باعتباره منظومة فكرية متّسقة ومنظّمة، تُقدّم تمثيلات حول الآخر –كما رأى إدوارد سعيد- أصبحَ معيارا للنّظر للشرقيّين وتمثيلهم، يضمّ عددا كبيرا من الأوصاف السلبية، تُستعمَل في سياقات عديدة، وتخدم أغراضا إيديولوجية وفكرية، تنحو نحو الإشكال والصراع.

وتُحاول هذه المداخلة تقديم رؤية بحثية جديدة حول واقع النّظرية مابعد الكولونيالية المعاصرة، التي يذهب أغلب نقّادها إلى تقرير انفضاح بنية خطاب الاستشراق الإيديولوجيّة،وفشله في تحقيق أهدافه، وهذا التّراجع كان بفعل عوامل كثيرة، لعلّ أهمّها لم يكن بسبب فطنة الشرقيّين، الذين بدأوا في تقديم رؤية مخالفة للرؤية الغربية في مسائل التّمثيل، من خلال الأدب والسينما فحسب، وإنّما من جانب الغربيّين أنفسهم، الذين تفطّنوا لسطوة وسائل الإعلام واكتشفوا قدرتها على تشويه الحقائق وتكريس تمثيلات تجاوزها السياق المعاصر، وهو ما أدّى إلى انفتح المجال أمام مراجعاتٍ كثيرة، لعلّ أهمّها بداية تراجع التّمثيلات السلبية عن كلّ ما هو مختلف عن أروبا.

الكلمات المفتاحية

الاستشراق-إدوارد سعيد-المعرفة والقوّة-ما بعد الكولونيالية- التّمثيل- حميد دباشي

ISSN: *2352-9830* ***EISSN:*** *2600-6898*

Abstract

Representations embedded in literature and art, in general, play a significant role in shaping how different cultures perceive one another, forming a reservoir that can be tapped whenever a particular image of a people is needed for aesthetic, artistic, political, or social purposes. This phenomenon becomes particularly intense and prevalent in contexts of social and political conflict, especially in today's world, where the distortion of the image of the Other—the non-European (Eastern and African)—has reached unprecedented levels in the history of cultural relations between nations and peoples. This is especially evident in Western literary writings and media, where pre-existing judgments, formed through psychological and rational factors, have shaped representations of the Other, often from a self-centered perspective laden with hostility, inferiority, and a lack of objectivity. These representations have fueled numerous conflicts and tensions.

Orientalism, as a Western perspective on Eastern worlds, is filled with many representations, often negative, due to the longstanding conflict between Europe and the Muslim world, which began with the advent of Islam. This was reflected in the Crusades of the 11th century and the colonial campaigns of the 19th century, which affected many African and Asian countries. Orientalism, as a coherent and organized intellectual system, provides representations of the Other, as Edward Said argued, and has become the standard lens through which Easterners are viewed and depicted. This includes numerous negative depictions, used in various contexts.

This paper aims to present a new research perspective on the current state of contemporary postcolonial theory. Many critics now argue that the ideological structure of Orientalist discourse has been exposed and has failed to achieve its objectives. This decline is due to several factors, the most important of which is not necessarily the awareness of Easterners, who began offering alternative visions of representation through literature and cinema, but rather the realization by Westerners themselves of the power of the media in distorting facts and perpetuating outdated representations. This has opened the door

for numerous revisions, most notably the gradual retreat of negative depictions of everything different from Europe.

Keywords
Orientalism – Edward Said – Postcolonialism – Representation – Hamid Dabashi- power and knowledge

*** *** ***

تمهيد

إنّ الاستشراق عبارة عن خطاب الغرب حول الشرق؛ وهو تلك المباحث الأدبية واللّغوية والتّاريخية والسياسية والاقتصادية وغيرها، التي قام بها مجموعة من العلماء والباحثين المنتمين لمجالات معرفية مختلفة؛ من الدّراسات اللّغوية والأدبية والأنثروبولوجية والفلسفية والجغرافية والتّاريخيةوتحقيق المصنّفات والمخطوطات القديمة، وعلم الآثار والعلوم الطبيعيّة والفيزيائية، الذين انتقلوا إلى منطقة الشرق الأدنى والأوسط، وبحثوا كلَّ جزئية علمية وثقافية فيه، سواء ما تعلّق منها بالماضي أو بالحاضر، وتُدير شؤونَ هؤلاء المستشرقين مؤسّسات أروبية، تُشرف على تمويلهم وتنظيم عمليّات البحث والتّنقيب، وكانوا يُمثّلون مدارس عدّة، بحسب الموجّهات العلمية والسياسية والمنهجية التي كانوا خاضعين لها في أعمالهم، ساعدهم في ذلك وقوع جلّ مناطق الشرق تحت سيطرة الاستعمار الأروبيّ.

درس موضوعَ الاستشراق والمستشرقين العديدُ من الباحثين العرب والمسلمين، فكتب حولهم كلٌّ من اللّبناني"نجيب العقيقي"(1916-1980) والجزائري"مالك بن نبي"(1905-1973) والمصريّين"عبد الرحمن بدوي"(1917-2002) و"حسن حنفي"(1935-2021) وغيرهم، مشيرين إلى الأعمال التي قام بها أولئك المستشرقون، وحكموا على قيمتها العلمية والتّاريخية، ومدى التزامها بالموضوعية والحياد المعرفيّ، ومنهم من قسّم المستشرقين إلى منصفين، ومنهم من عدّ من بينهم غير المنصفين، لكنّ القليل من هؤلاء من تناول

ISSN: 2352-9830 *EISSN: 2600-6898*

الاستشراق في إطار حركة الاستعمار الأروبي، أين تمّ اتّصال المعرفة الغربية بالقوّة العسكرية والهيمنية، وتنحو مقاربة المفكّر الجزائريّ "مالك بن نبي" نحو ربط الاستشراق بالاستعمار ومؤسّساته العلمية، على الرّغم من تركيزه على مسائل متعلّقة بواقع التّخلّف في المجتمعات العربية، وإرجاعه إلى أسباب نفسية واجتماعية، متعلّقة بالمجتمعات العربية الحديثة، دون قرنه بطريقة مباشرة بالاستعمار، وقد قسّم "ابن نبي"طبقات المستشرقين من حيث الزّمن، بين القدماء والمحدَثين، ومن حيث الاتّجاه العامّ نحو تراث العرب والإسلام، وأقرّ أنّ هناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها، المشوّهين لسمعتها*، وتناولُ "بن نبي" للاستشراق تمّ في إطارٍ حضاري،ذي بُعد فكري وفلسفيّ، يختصّ بمعالجة مسألة التّخلّف، وسبل تحقيق الشروط الضرورية لإعادة إقامة النّهضة العلمية في العالم العربي الحديث، فقد انخرط المفكّر الجزائري في معالجة مختلف القضايا التي تهمّ المجتمعات العربية الحديثة، وقد بدأها في سنوات الأربعينيّات بمجموعة من المؤلّفات المهمّة، ويُعدّ من بين أهمّ من تناولوا أثرَ المستشرقين في المجتمعات العربية الحديثة، خصوصا في مؤلّفه "إنتاجُ المستشرقين وأثرُه في الفكر الإسلاميّ الحديث"، الذي عرض في ثناياه-من وجهة نظره الخاصّة- تأثيرَ نتائج بحوث المستشرقين ودراساتهم، في كبح جماح الحضارة العربية الحديثة، وتعطيل مختلف المشاريع النّهضوية، من خلال استراتيجية "الإلهاء"، التي يُمارسها المستشرقون المحدَثون، بهدف منع تكوّن الظروف النّفسية والاجتماعية والعقليّة، الضرورية لكلّ حضارة، متابعا تطوّر أفكار المجتمع الإسلاميّ بداية من النّهضة العربية-الإسلاميّة، نهاية القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر، وقد قسّم المستشرقين، كما سبق ونبّهنا، إلى مادحين لتراثنا وثقافتنا وتاريخنا ومنتقدين لها ومشوّهين، وركّز اهتمامه على أثر "المادحين"، الذي يرى أنّه كان أكثر تأثيرا، في كونه يُشكّل خطرا داهما، في منظومتنا الفكريّة، وفي طبقة المثقّفين العرب، ساهم في جعل الكثير من الأمور تُبنى في نهضتنا على منوال ما قدّمه أولئك المستشرقون، ويُرجع سبب ذلك إلى تعطّل جهازنا، للدّفاع عن كياننا الثّقافي، ما يُفسّر الانبهارَ بالحضارة

الغربية لدى العرب والمسلمين، ولعلّ الأخطر حسبه، يتمثّل في تبنّي المجتمعات العربية لمختلف الرؤى والمفاهيم الغربية، وهي المسألة التي تحدّث عنها"إدوارد سعيد" ووسمها بـ"شرقنة الشرق لنفسه"، في كتابه"الاستشراق"، والأمر نفسه بالنّسبة لـ"مالك بن نبي"، الذي يذهب إلى أنّ تمثيلات الاستشراق حول العرب والمسلمين، وجدت طريقها عندهم، فتبنّوها وأصبحوا ينظرون إلى الذّات بمنظار الغرب، ويُضيف «**يتبيّن لنا أنّ الإنتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شرّا على المجتمع الإسلاميّ، لأنّه ركّب في تطوّره العقلي عقدة حرمان، سواء في صورة المديح والإطراء التي حوّلت تأمّلاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النّعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التّفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيّرتنا حماة الضيم عن مجتمعٍ منهار، مجتمع ما بعد الموحّدين، بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعا ولكنْ دون هوادة، لا نُراعي في كلّ ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأيّ ظرفٍ في التّاريخ، دون أن نُسلم لغيرنا حقّ الإصداع بها والدّفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب**»[1]. فكلّما سنح للمستشرقين مجالٌ للكتابة حول الشرق أو تراثه وتاريخه، يستثمرونه في تقديم وجهات نظر حول المجتمعات والتّراث العربي، ويُقدّمون التّاريخ النّاصع للثّقافة والمعرفة العربيّين من جهة، ومن جهة ثانية يُبرزون رقيَّ النّموذج الحضاري الغربيّ، وهي استراتيجية مدروسة، ساهمت في فقدان المجتمعات العربية للحوافز التي تُمكّنهم من إعادة إنجاز حضارتهم، كما يذهب"بن نبي"، وأعاقتهم عن تكوين الظروف النّفسية والاجتماعية والعقلية، التي تسمح لهم بالمساهمة في بناء حضارتهم المعاصرة.

أوّلا: إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة الغربية والقوّة

لكنّ المؤلَّف الذي انطلق من إطار الدّراسات الأدبية المقارنة، ضمن الدّراسات الكولونياليّة (الاستعماريّة)، وما بعد الكولونيالية، وهو المسار المنطلِق من البحث في الأصول الفكرية العميقة لظاهرة الاستشراق، ويهتمّ بدراسة مختلف الأشكال الثّقافية

ISSN: 2352-9830 *EISSN: 2600-6898*

المُحيلة للهيمنة والتّسلّط، الطاغية في علاقة المستعمِر بالمستعمَر، هو كتاب "الاستشراق"، لمؤلّفه الأمريكو-فلسطيني"إدوارد سعيد"(1935-2003)، الذي نُشر سنة 1978، يتناول فيه استشراق القرن التّاسع عشر، الذي برزت فيه مدرستان؛ فرنسيّة وإنغليزيّة على الخصوص، ويبدو للعيان تعقّد الأرضية الفكرية التي تُؤسّس منهجيةَ "إدوارد سعيد" ومفاهيمَه الفلسفية في تناول هذا الموضوع، والتي يعود من خلالها إلى مفاهيم كلٍّ من الفيلسوف الإيطالي"أنطونيو غرامشي"(1891- 1937)، والمفكّر الفرنسي"ميشال فوكو"(1926-1984)، ومجمل ما استُخلص من مبادئ النّظرية النّقدية لفلاسفة مدرسة فرانكفورت الألمانية، وخصوصا في نقدهم للنّظام الاقتصادي الرأسمالي وفكرة"صناعة الثّقافة" عند"تيودور أدورنو"، فضلا عن أفكار النّظرية الفرنسيّة، التي مثّلها كلٌّ من"لويس ألوتوسير"(1918-1990)و"رولان بارث"(1915-1980)و"ميشال دي سيرتو"(1925-1986)، وجان فرانسوا ليوتار"(1924-1998)، كلُّ هذا الزخم الفكري والمفاهيم المعاصرة، استندت إلى أرضيّة فكرية، تعود إلى التّوجّهات الماركسية في نقدها للرأسمالية، مقرونة بتيّار الدّيكولونيالية، الذي سوّى مسارَه النّضالي المفكّر المارتينيكو-جزائري"فرانز فانون"(1925-1961) وتمثّلها المفكّر الجزائريّ"مصطفى الأشرف"(1917-2007)، غير أنّ"إدوارد سعيد" قدّم، من خلال توظيف كلّ تلك المفاهيم، رؤية جديدة، لم يسبق وجودها من قبل، وهي المتعلّقة برؤيةٍ للاستشراق، باعتباره خطابا، تتداخل فيه القوّة والمعرفة الغربية، ومرتبط بالمركزية الأوربية، تمكّن من فرض قيمٍ تسلّطية، برعاية مؤسّسات علمية أروبيّة، مُشبَع حتّى التّخمة بأشكال السيطرة والهيمنة والتّحيّز، وعدّه أيضا من أهمّ الخطابات الحاملة لقدر كبير من التّمثيلات المغلوطة، في حقّ المغلوبين، الذين كوّنوا مجتمعَ المستعمَرين، فتمّ تصوير العرب باعتبارهم بعيدين عن العلم والحضارة، وبأنّهم متخلّفون وهمجيّون وطغاة ومستبدّون وظالمون، انطلاقا من تحديدات "فوكو" في تناوله للمنظومة المعرفية الغربية المتحيّزة في حقّ مجموعات من المجتمعات الأوربية، تمّ تهميشها وإقصاؤها، مقسّمة إيّاهم إلى "أسوياء"و"غير أسوياء"، بالإضافة إلى استثماره مفهوما آخر، ورد عند "فوكو" وهو

مفهوم"المؤسّسة"، ويعني به كلّ إطار عامّ يُصدر خطابا متجانسا ومتناسقا وقويّا، يحمل قيما ثابتة حول مسألة ما، ليتمّ من خلالها لـ"إدوارد سعيد" فهم نظرة الغربيّ لنفسه في اعتقاده بأنّها تُمثّل السويّ، وأنّ الآخر(الشرقيّ والإفريقي) غير السويّ، وتراكمت تلك التّمثيلات بفعل العلاقاتبين "الغرب" و"الشرق"**، وبلغت مداها أثناء الاستعمار، الذي طالت مدّة سيطرته على الشرق، وتلخيصا لكلّ هذا يرى "إدوارد سعيد" أنّ كتابه" الاستشراق" «**يتقفّى أثرَ شتّى أطوار العلاقة بين الطرفين [ويقصدُ الشرق والغرب] بدايةً بغزو نابليون لمصر، مرورا بالفترة الاستعمارية الكولونيالية الرئيسة ونشوء الدّارسات البحثية الاستشراقية الحديثة في أوربا خلال القرن التّاسع عشر، وُصولا إلى أُفول السيطرة الإمبراطورية البريطانية والفرنسية عن الشرق بعد الحرب الكونية الثّانية وانبثاق الهيمنة الأمريكية هناك لاحقا. ويرتكز (الاستشراق) كذلك على موضوعة أساسية هي دمج المعرفة بالقوّة**»[2]. فهو يُعاين فترة القرن التّاسع عشر، التي كانت الميلاد الفعليّ للدّراسات الاستشراقية المعنية باهتمامه، وهي الفترة التي نشأت خلالها، مستمدّة شرعيّتها وقوّتها من الواقع الكولونيالي، الذي استُبيح أثناءَه الشرقَ، بكلّ مكوّناته وخصوصا الإنسانَ والمعرفة والتّاريخ، لكنّ هذا الاستشراق لم ينته ولم يضمحلّ بمجرّد انتهاء الاستعمار، أو بدايات أفوله، ابتداء من خمسينيّات القرن العشرين، بل إنّ الإمبريالية الأمريكية ورثت ذاك الاستعمار، كما ورث الاستشراق الأمريكي ممثّلا في أبرز مستشرقيه"برنارد لويس" الاستشراقَ الفرنسي-الإنغليزي، الذي طغت رؤاه على كلّ القرن التّاسع عشر، ممتدّة إلى استشراق "بلاد العمّ سام"، وكما يذهب" سعيد" فإنّه وفضلا عن تعالق المعرفة الغربية حول الشرق بالقوّة ويُقصد بها الهيمنة والتّسلّط، التي كان الاستعمار نتيجتها الحتمية، فإنّ الاستشراق واصل إنتاج تمثيلاته عن الشرق،وغدت في الواقع الجديد أكثر نمطية، في كلّ مرة يتمّ الحديث فيها عن الشرق، أو الكتابة حوله، سواء في الأدب أو في السينما أوعلم الاجتماع والفكر والسياسة وغيرها.

ISSN: 2352-9830 *EISSN: 2600-6898*

وقد نبّه"إدوارد سعيد" قبل ظهور الدّراسات التي تلت كتابه" الاستشراق"، إلى هذه المفارقة العجيبة في الفكر الأروبيّ،بين المعرفة التي من المفترض أن تكون موضوعية، وبين توظيفها في الهيمنة، كلّما كانت المسألة مرتبطة بإحدى الظواهر المتعلّقة بالإنسان الشرقي وتراثه الثّقافي والعلمي، فقد كان هو نفسُهذا أصولٍ شرقيّة، يعيش في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ومطّلعا بشكل وثيق على تلك المنظومة المعرفية الغربية، التي تتداخلها القوّة، ودارسالعدد كبير من بحوث المستشرقين ومصنّفاتهم، وكاشفالبنيتها الخفيّة التي كانت مبعثَ نظرتها للآخر، والتي يقرنها دوما بين المعرفة الغربية للشرق وبين القوّة التي تُسيّرها وتتحكّم فيها، من خلال مؤسّسات غربية، كان الاستعمار أهمّها، حيث يقول «...**إنّ المكوّن الرئيسيّ للثّقافة الأوروبيّة هو بالضبط ما جعل تلك الثّقافة متسلّطة داخل أوروبا وخارجَها على حدّ سواء؛ فكرة كون الهوية الأوروبيّة متفوّقة بالمقارنة مع جميع الشعوب والثّقافات غير الأوروبيّة, وثمّة-بالإضافة إلى ذلك- تسلّط الأفكار الأوروبيّة عن الشرق، التي تُعيد بدورها تأكيدَ التفوّق الأوروبي على التّخلّف الشرقيّ**»[3]. فلم يسبق "إدوارد سعيد" أحدٌ، ممّن تناول المسائل المتعلّقة بالاستشراق والمستشرقين، انطلاقا من جينيالوجيا فكرية وفلسفية ومرجعيّات اجتماعية ونقدية أدبيّة، في منهجية مضبوطة تنتمي إلى الدّراسات الكولونيالية، التي تهتمّ بكشف خطابات التّسلّط، وتفضح أشكال الهيمنة الثّقافية، والتي استطاع في إطارها من تكوين منظومته النّقدية للفكر الغربي، الذي رأى أنّه فكرٌ متمركز، يدّعي الكمال، ويسم الآخرَ بالنّقص، انطلاقا من فكرة المركزية الأروبية" التي ترى أروبا، بموجبها، نفسها أنّها كيانٌ متفرّد دون غيره من الكيانات الأخرى، بميزات وخصوصيّات، تجعله أرقى من كلّ شكل من الأشكال الحضارية الأخرى، وهي فكرة تُحيل للتّحيّز، فتقبل كلّ ما هو أروبيّ وتنفي غير ذلك، على الرغم من أنّ للثّقافات غير الأروبية (الشرقية على الخصوص) دينٌ كبير، معرفيا وثقافيا على أروبا والغرب، كلُّ هذا جعل أروبا ترى نفسها الأصل والمركز والباقي فروعا أو هوامش، لا قيمة لها أمام"تاريخ أروبا ومعارفها وثقافاتها"، بطريقة تُعدُّ تجسيدا لفكرة "السيّد" و"العبد"، التي فسّر بها

الفيلسوف الألماني" فلهالم فريديريش هيغل"(1770-1831) التّراتبية في الذّوات في علاقاتها بالوعي، في كتابه"فينومينولوجيا الرّوح"***، وبشكلٍ يمنح التّقسيم الذي كشفه"فوكو" في دراسته لتاريخ الأنظمة المعرفية في أروبا، منذ عصر النّهضة، والقائمة على التّفريق بين السويّ و"غير السويّ"، فأروبا تُمثّل السيّد والسويّ، وإفريقيا والعالم العربي وباقي شعوب آسيا تُمثّل العبدَ وغير السويّ، وبهذا أمكن لـ"إدوارد سعيد" فهم تمثيلات الغرب للشرق وتوضيحها، وأصبح الشرق منتَجا من قبل تلك الاستراتيجيات المعرفية، التي تنتمي للفكر الغربي، ولا تُعبّر عن حقيقة فعليّة، فالشرقُ إنتاجٌ وتصوّر، لا يُطابق الواقعوالتّاريخ، بل يُطابق المنظومة الفكرية الأوربية التي أنتجته .

ترى الثّقافة الغربية نفسها فريدة في تكوّنها وتطوّرها، ومن الطبيعيّ أن تُظهر صورة للشرق، لا تُعبّر عن حقيقةواقعية، أو تاريخٍ دقيق، ولا تأخذ بعين اعتبارها اختلافاته أيضا، فالشرق ليس كيانا واحدا، بل هو منطقة يُميّزها الثراء الاجتماعي والثّقافي والتّنوّع الجنسي، على الرغم من كونه كيانا جغرافيّا متّصلا، وإنّ ما أنتجه خطاب الاستشراق لم يخرج عن مجموعة من الأوصاف والتّمثيلات تُقدّمه في صورة موحّدة وقارّة لا تتغيّر، وهو ما جعل هذا الخطاب يحمل عوامل تفجّره، ساعد في ذلك وعيُ الغربيّين والشرقيّين على السواء، أنّه خطاب يحمل قيما مركزية وتحيّزات عنصريّة، لا يُمكن الإقرار بصدقيّتها، لكنّها كانت حقيقة لا جدال فيها في ثنايا عمل المستشرقين، المستندين إلى معارفهم الغربية ومناهج علومهم، خصوصا في القرن التّاسع عشر في ظلّ الاستعمار، وهي منظوماتٌ بحثيّة تورّطت في تقديم معرفة مشبَعة بالتّحيّز، في سبيل جعل الأنا الأروبيّ متفوّقا، والآخر متخلّفا، غير آخذين بعين اعتبارهم السياقات الحديثة ودورها في تكوين التّخلّف، الذي ليس جوهرا في الإنسان المستعمَر، بقدر ما هو نتاجُ ظروف تاريخية، وفي هذا يذهب المفكّر الإيرانو-أمريكي"حميد دباشي"****، المختصّ في علم اجتماع المعرفة والأدب المقارن، والأستاذ المشهور في جامعة كولومبيا، إلى أنّه «**كانت طريقة العمل الواضحة**

ISSN: 2352-9830 *EISSN: 2600-6898*

للأنثروبولوجيا هي تشكيل غير الأوروبيّين على أنّهم بدائيّون وأصليّون»[4]. فعلوم الغرب ومناهجه قدّمت- في نهاية المطاف- الشرقَباعتباره بدائيّا ومتخلّفا، على الرغم من أنّ ما عُرف عن المستعمَرين كان مخصوصا بسياقات تاريخية، حصرته في حيّز حضاري متخلّف، لم يستطع تجاوزه،وإنّ الذّهاب إلى الاعتقاد بأنّ الغربَ متطوّر منذ الأزل، والشرقَ متخلّف منذ الأبد، لأسباب ثابتة في كليهما، كما تُوهمنا بذلك المنظومة المعرفية الغربية، لقضيّةٌ باطلة من أساسها، لبطلان مقدّماتها المنطقيّة وقياساتها، ولذلك فإنّ هذا المنطق في استخلاص الحقائق، والذي ينبني عليه رؤية خاصّةللأشياء، يُعدّ من عيوب المعرفة الغربية، المُشبَعة بقيم التّفوّق والمنطلقة من الفكر التّاريخي،والمدّعية أسبقيّتَها وقدرتها على التّطوّر، فضلا عن ذلك، فإنّ الفترة التي تمّت معينتها من قبل المستشرقين، كانت تُمثّل مرحلة الضعف التي عاشتها البلدان الشرقية تحت سلطة الاستعمار، ما جعل بحوث كلّ مهتمّ بالإنسان الشرقيّ أو أيّة مادّة متعلّقة به، تنحو نحوا خاصّا، حقّقت تناغما بين تلك البحوث وتناسقا في مقولاتها وأحكامها، ولم يكن هذا غريبا أو غير قابل للفهم، لكون الغرب قد بلغت قوّته درجة لا تُضاهى، في أيّة منطقة جغرافية أخرى، ومن الطبيعيّ ، واحال هذه، أن تتداخل القوّةُ المعرفةَ، وهو الأمر الذي يُشير إليه المفكّر المغربيّ"سالم يفوت" الذي يرى أنّ «**من وظائف السلطة...أنّها تُنتج "الو اقع" كما "تُنتج الحقيقة" قبل أن تُضفي عليها رداء إيديولوجيا وقبل أن تجرّد وتموّه، من هنا اتّخاذها شكلَ "وعيٍ مغلوط"...**»[5] . فما كان سببا مباشرا وقويّا لصدور تلك التّمثيلات حول الشرق، هو القوّة التي تميّز بها الغرب منذ نهاية القرن التّاسع؛ عسكريا وسياسيا واقتصاديا، زادتها المعرفة النّاتجة عن الحداثة، فغدا كيانا خاصّا، انعكس كلّ هذا في رؤيته للكيانات الأخرى، ومن ثمّ ظهر الشرقُ لديه بصورة معيّنة، ولم تستطع المعرفة الغربيّة أن تُقدّم معرفةً إنسانيّة منطقية وموضوعية ومقبولةوصالحة حول الشرق .

انفضح خطابُ الاستشراق الذي كان صورة عن إنتاجات الفكر الاستشراقي الغربيّ، ودليلا على ثقافة متمركزة حول ذاتها، ومتحيّزة لصالح كلّ ما يُمثّل الغرب أو يدخل ضمن حيّزه، بحمولاته التّاريخية والمعرفية والحضارية، الغرب الذي يدّعى ظهوره من العدم، نافيا دَين الثّقافات الشرقية في تكوين أسسه المعرفية وأصوله الثّقافية والحضارية، ويدّعي تواصلا معرفيا يمتدّ إلى الإغريق، قاطعا إيّاها عن أصولها الشرقيّة، التي تشرّبت القيمَ الحضارية والثّقافية الساميّة-العربيّة، في بابل وأكد وآشور وصور وتدمر والحيرة ومصر، والتي كان الأدب الإغريقي ممثّلا في الملاحم"الإلياذة"و"الأوديسة" متأثّرا بملحمة"غلغامش" الأكدية الآشورية، وفيما اكتنزته الرُّها"و"نصيبين"و"جنديسابور"والإسكندرية" من معارف الشعوب الشرقية القديمة ومصنّفاتها، التي وجدت طريقها إلى أثينا وروما، وهي حقائق أثبتها، فضلا عن العديد من الباحثين العرب، مفكّرون ومؤرّخون ثقافيّون غربيّون، مثل"مارتن برنال" في كتابه" **أثينا السوداء، الأصول الآفرو-آسيوية للحضارة الكلاسيكيّة**"، والذي أوضح الدّينَ الكبير للحضارة المصرية على ثقافة اليونان وفلسفاتهم، وكذلك العمل الهامّ، الذي قدّمه الفرنسي"بيير روسي" Pierre Rossi, في كتابه "**مدينة إيزيس، التّاريخ الحقيقي للعرب**"، **La cité d'Isis, l'histoire vraie des Arabes** والذي تبنّى فكرة إثبات عربية الحضارة المصرية[6]، وعلى الرغم من ذلك فإنّ أروبا، كممثّلة للغرب في أوّل الأمر كوّنت لنفسها صورة مثالية، مدّعية أنّ ما تميّزت به وما وصلت إليه من قيم إنسانية وأشكال حضارية وثقافية، لم يصل إليه كيانٌ ثقافيّ آخر، خارج أوربا والغرب، الأمر الذي يُوثّق مركزيتها وتحيّزاتها، ضدّ كلّ ما يُمثّل الآخرَ ويرمز إليه، ولم يشذّ خطاب الاستشراق عن ادّعاءات الأروبيّين وخفايا معارفهم، وإنّه ومهما اختلفت كتاباتُ المستشرقين وأعمالهم؛ سواء في الكتابات التّخييليّة الأدبية أو في صنوف المعرفة المختلفة؛ منالدّراسات اللّغوية والتّاريخية، أو الاجتماعية والفلسفية، فإنّ الاستشراق يبقى خطابا معبّرا عن منظومة معرفيّة غربية متحيّزة، لم تستطع الرقيّ إلى فكر إنسانيّ حقيقيّ، مبنيّ على التّعايش والتّعاون والاحترام، وبقيت ثابتة متحجّرة، بعيدة عن الموضوعيّة التي تدّعيها.

ISSN: 2352-9830 *EISSN: 2600-6898*

ثانيا؛ الغرب والسياقات الجديدة، سطوة وسائل الإعلام وتحوّلات المعرفة

يُعدّ المقارن وعالم اجتماع المعرفة الأمريكو-إيراني، وأستاذ الدّراسات الإيرانية في جامعة كولومبيا بالولايات المتّحدة الأمريكية"حميد دباشي" من أهمّ من ركّزوا على مسألة التّمثيل الأدبيّ والإعلاميّ، متتبّعا في ذلك منجزات سلفِه "إدوارد سعيد"، وتحتلّ كتاباتُه-في هذا السياق النّقدي- موقعا بارزا في الحياة السياسية والأدبية والاجتماعية المعاصرة، في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وتنال اهتمامَ العديد من الفلاسفة والمفكّرين والنّقّاد خارج أمريكا، بالنّظر إلى السياقات الفكرية والاجتماعية الجديدة في أروبا والعالم العربيّ-الإسلاميّ، فهو مناضلٌ لا يكلّ، في سبيل تقديم وجهات نظرٍ شرقية، بحكم أصوله الإيرانية، ويُدافع عن أحقيّة الشرقيّين في معاملة مُنصفة من قبل الغرب،وبخاصّة المهاجرين، الذين ما يزالون بعيدين عن تحقيق الاندماج الفعليّ في المجتمعات الحاضنة لهم، على الرّغم من مشاركتهم في الحياة السياسية والاجتماعية، ورغبتهم القويّة في خدمة المجتمعات الغربية الحاضنة لهم، والتي يرون أنفسهم جزءا مهمّا منها، وذلك بسبب نظام التّمثيل والنّماذج النّمطية، التي ما يزالون أسرى لها، باعتبارهم شرقيّين، و"دباشي" لا يختلف كثيرا فيما يذهب إليه عن آراء "إدوارد سعيد" حول هذه المسائل، غير أنّه يرى أنّ الاستشراق الذي كان يُمثّل عصرَ طغيان الغرب في القرن التّاسع عشر، وجزءٍ من القرن العشرين، باعتباره منظومة فكرية متّسقة وقوية، وتعبيرا عن توثّق عرى القوة بالمعرفة، هو مفهومٌ قد زال، ولم يُصبح لمصنّفات المستشرقين الكبار من أمثال"إغنست غولدزيهر"و"غوستاف فون غرونباوم" وأمثالهما، تأثيرٌ كبيرٌ في المعرفة الغربية حول الشرق، ضمن تصوّرات السياسة الأمريكية في العالم المعاصر؛ عهدِ اللّيبرالية المتوحّشة وسطوة البنك الدّولي، والعولمة المذيبة لكلّ الخصوصيّات والهويّات، والواقع الجديد، حسب"دباشي"أصبح يتمثّل في وجود مجموعة من الخبراء، وهم في الأصل لاجؤون من بلدان الشرق، ينتمون إلى أقلّيات مهمّشة، داخل المجتمعات العربية-الإسلاميّة، يُعدُّون

مصدرَ المعرفة الجديدة حول الشرق، وهذه المسألة لا تُهمّنا هنا بقدر أهمية مسألة التّمثيلات التي نُناقشها، لذلك فإنّ الشيء الثّابت الذي لم يتغيّر وبقي ظاهرة تستحقّ الدّراسة والبحث، هو التّمثيلات التي تحدُّها الرؤية الاستشراقية، التي ما تزال تُهيمن على رؤية الغربيّين إلى اليوم، دون تغيير كبير، ويُعلّق"دباشي" على آراء "إدوارد سعيد" وكتاباته في هذا المجال ويرى أنّ «...**التّنظير الفوري لإدوارد سعيد...كان- في المقام الأول- وجهة نظر نقدية أدبيّة حول أزمة التّمثيل، كجزء، لا يُجتزأ، من العلاقة ما بين المعرفة والسّلطة**»[7].

فقد استرعت مسألة التّمثيل إذن، اهتمامَ "إدوارد سعيد"، وخصّص لها جلّ كتبه، من أجل فضح المنظومة الفكرية الغربية المعاصرة، التي ورثت تركةَ الاستشراق الأروبي، وحافظت على رؤاه الاختزالية للإنسان والثّقافة الشرقيّين، وجعلتها مدخلا للهيمنة والإمبريالية، مبرّرة الكثيرَ من الحروب والتّدخّلات في البلدان العربية، مثل الذي حصل في العراق وسوريا واليمن، والآن في غزّة، التي يتواصل فيها الاعتداء الصهيوني، منذ السابع من شهر أكتوبر 2023، وتظلّ الصور السلبية حول الإنسان الفلسطيني باعتباره شرقيّا، حاضرة في كلّ مقاربة إعلامية تلفزيونية، يحضرها ممثّلون سياسيّون ومثقّفون وعلماء ومهتمّون بالسياق الدّولي الجديد، وفي كلّ خطاب سياسيّ، سواء من قبل حكّام الاحتلال أو من الإدارة الأمريكية، الذي ينحو منحى سوفسطائيا، يُغالط الرأيَ العام العالمي، في تجريم المقاومة الفلسطينيّة، باستعمال الأنماط التّمثيلية ذاتها، الموجودة في خطاب الاستشراق، دون الإجابة عن الإبادة الجماعية، التي يتعرّض سكّانُ غزّة والضفّة الغربيّة واليمن ومناطقها الواسعة، فهناك أزمة تتعلّق بتمثيل الإنسان الشرقيّ والعربيّ على الخصوص، باعتبار أنّه تصوير لا يُعبّر عن الحقيقة، ولا يُقدّم صورة دقيقة عن الشرق والثّقافة الشرقية والإنسان الشرقيّ، وتتغلّفُه خفايا سياسية واقتصادية، ضمن سياسة إمبريالية منغلقة، لا تعرف الموضوعية ولا تحترم حقوقَ الإنسان الفعليّة، وتتعلّق أيضا بسطوة النّظام الرأسمالي-الإمبريالي وتوسّعه، الذي قد يكون بلغ المرحلة النّهائية، التي بشّر بها المنظّر الألماني"كارل ماركس"، قبل قيام ثورة المهمّشين والمقموعين، ضدّ كلّ أشكال القهر

ISSN: 2352-9830 EISSN: 2600-6898

والعدوان، وتوحيد العالم ضمن رؤية هذه الطبقة المقهورة تاريخيا، ونهاية الطغيان والتّسلّط، فمثلما ادّعى الاستعمار من أجل إحكام سيطرته على الشرق والهيمنة عليه ونهب خيراته،بأنّه صاحب مهمّة تحضيرية للشعوب الشرقية والإفريقية، منشئا لها صورا وتمثيلاتٍ،كالادّعاء بأنّ شعوبها متخلّفة وبربريّة، ولا يمكن الوثوق بها، لذلك لا بدّ من استعمارها، قامت الإمبريالية المعاصرة بتحيين تلك التّمثيلات بالادّعاء أنّ الشعوب المظلومة والمقهورة، إرهابيةٌ، تمتهن القتلَ في حقّ الأطفال والنّساء، والتّدمير لكلّ أشكال الحضارة المعاصرة، التي يدّعي الكيان الغاصب تمثيلها، تبريرا للإبادات الجماعية المرتكبة في حقّ الفلسطينيّين واللّبنانيّين، كما تمّ قبل ذلك، تبرير جرائم الاستعمار في كلّ بلدٍ حلّ فيه، وبهذا المنطق ظلّت صورة الشرق ثابتة لم تتغيّر، لذلك حاول "إدوارد سعيد" في كلّ ما كتبه وفي جلّ ما أصدره من مؤلّفات أن يُخصّص جهدَه وقدراته النّقديّة والفكرية واطّلاعه التّاريخي والفلسفي والسياسيّ لنقد هذا الخطاب، فالمسائل التي هي محور الدّراسات المعاصرة في علم اجتماع المعرفة والفلسفة، وأيضا في مجال الدّراسات الكولونيالية وما بعدها، تكاد تنحصر في علاقات الذّوات بعضها ببعض، ومختلف الصور التي تُكوّنها الشعوب والثّقافات حول نفسها وحول الآخر، وما الإشكالات الحضارية والسياسية والاقتصادية، سوى نتيجة من نتائج تصوّرات الذّات الغربية، وهي المسبّب الأوّل للأزمات والحروب.

أكّد "إدوارد سعيد" أنّ الغرب -وفي سبيل تحقيق مطالبه السياسية والاقتصادية- يُشغّل الآلةَ الإعلامية الضخمة، لاستعمال التّمثيلات السلبية عن الشرق وتبرير تدخّلاته في بلدان الشرق العربيّ-الإسلاميّ، تحقيقا لمصالحه الاقتصادية والسياسية، وهي التّمثيلات والصور، التي كانت خلاصة ما قدّمه خطاب الاستشراق،وبما أنّ تصوّر الغرب لكلّ ما له علاقة بالشرق، بدءا بالشرقيّ نفسه، يُخفي بنية معرفيّة أصدرت تصوّرا خاصّة عنه، فقد استقرّت في ثنايا هذا الخطاب تمثيلاتٌ معيّنة، تُستدعى كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، فإنّ

"حميد دباشي" يرى أنّه قد «**أصبح الاستشراقُ اليومَ مجموعةً من الكليشيهات، أو الأفكار النّمطية الصحفية. وتكمن المشكلة مع الاستخدامات والانتهاكات الصحفية، في أنّ الكتّاب يميلون إلى توثين المصطلح دون أن يكلّفوا أنفسَهم عناءَ معرفته، وشرحه، ونقل ما يعنيه، وكيف يُمكن له كمفهوم أن يتطوّر، وأن يُحظى، بحياةٍ عضوية**»[8]. ف" دباشي" الذي يُعدّ أحدَ أهمّ المقارنين المعاصرين من خلال ما كتبه، بخاصة مؤلّفه"مابعد الاستشراق"[9]، وعلى الرغم من أنّه يرى أنّ ظروف إنتاج المعرفة حول الشرق تختلف اليوم في الغرب عن الفترة التي درسها " إدوارد سعيد" إلّا أنّه لاحظ بقاء بنية الاستشراق وعدم تغيّرها ما يعني استقرار تلك التّمثيلات عن الشرق، بالرغم من انكشاف أسبابها وأهدافها السياسية والاقتصادية وفي أنّها لا تُعبّر عن الحقيقة الفعلية للشرق، ويبقى الأمر نفسه بالنّسبة لغيره من الباحثين الذين تناولوا الاستشراق، الذين انتهوا إلى تلك البنية الخفية الذي تُسيّر بحوث كلّ غربيّ مهتمّ بالشرق، وكلّ باحث قدّم أعمالا تتناول إحدى القضايا المتعلّقة به.

ثالثا: السينما العربية والإيرانية، المقاومة الثّقافية في صورتها الجديدة

ينحو"دباشي" النّحو نفسَه، الذي رسمه"إدوارد سعيد"، في توضيح عمل "هوليوود" التي تُعدُّ أكبر مُنتج للأفلام السينمائية في العالم، وتسترعي انتباهَ جزء كبير من سكّان البلدان في الشرق والغرب ومشاهداتهم، خصوصا في الأفلام التي تُصوّر موضوعاتُها العلاقات الإشكالية بين أمريكا والعرب، ففي إحدى الحوارات وفي معرض حديثه عن التّمثيلات التي تُقدّمها السينما الأمريكية لغير الغربيّين، وبعد ذكره لكتاب الراحل "جاك شاهين" الموسوم بـ"العرب السيّؤون؛ كيف تُسيء هوليوود للشعوب" الصادر سنة 2001، والذي يُعدُّ مرجعا دقيقا عن الدّور الخبيث لهوليوود في تشويه سمعة العرب والمسلمين، يذهب"دباشي" إلى أنّ تمثيلات الغرب عن الشرقيّين بدأت تضمحلّ، بعد بروز واقع إعلاميّ جديد،ميّزه ردّ فعل السينما العربية والإيرانيّة، والتي حدّت من سطوة تمثيلات الإعلام

ISSN: 2352-9830 *EISSN: 2600-6898*

والسينما الأمريكية، ولتفسير آلية اشتغال تلك التّمثيلات في "هوليوود"، وردّ فعل السينما الشرقيّة، يذهب "دباشي" إلى توضيح تلك التّحوّلات التي حصلت في العالم المعاصر، ويرى أنّ الأمريكيّين« **فعلوا ذلك بنفس الطريقة التي انتهجوها مع الأمريكيّين الأصليين، والأمريكيّين الأفارقة، ثمّ مع الألمان خلال الحرب العالمية الثّانية، كانت العبارات المَجَازية الشهيرة متطابقةً تقريبا. الأمريكيّون الأصليون متوحّشون، والأمريكيون ذو الأصول الإفريقيّة أغبياء، والألمان مغفّلُون- وأصبح العرب والمسلمون مزيجا من كلّ هذه الكليشيهات المرضية؛ العنفُ والغباءُ والتّعصّبُ. لكن من الضروري أن نأخذ في الاعتبار أنّ هوليوود لم تعد تتحكّم في كيفية ظهور العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم. لم يترك الصعود المذهل للسينما العربية والإيرانية والتّركية وغيرها في جميع أنحاء العالم مساحة لهوليوود للقيام بأضرارها المعتادة...لقد هدّدْنا الملكةَ هوليوود وقتلناها**»[10]. وإذا كان الأمر كما يقول "حميد دباشي"، فإنّ معارضة المؤسّسة التي تُصدر تلك التّمثيلات في الغرب، يُعدُّ بداية الانتصار والتّحوّل نحو عصر فكريّ جديد، يتميّز بوعي شرقي كبير، وبضرورة تقديم ما يُخالف تلك النّظرة الضيّقة، سواء في الكتابات الأدبية أو في مجال الإعلاموالسينما، لأنّه السبيل الوحيد لمحاصرتها وإفراغها من حمولاتها الإيديولوجية والحضارية، ومن شأن هذا، أن يسمح بظهور خطابٍ جديد من داخل الغرب نفسه، يسعى لتفجير التّحيّزات والتّراتبيات، وهو العهد الذي نُسمّيه بـ"ما بعد التّمثيلات"، أي العهد الذي لم يعد فيه ما يُبرّر بقاء تلك التّمثيلات السلبية، التي قدّمت شعوبا بأكملها، والتي لا تُعبّر عن الحقيقة، بقدر ما تُعبّر عن المنظومة الفكرية الغربية التي أنتجتها، كما عبّر عن ذلك"إدوارد سعيد"، ولكنّ السؤال الواجب طرحه يتعلّق بمدى إمكانية نجاح هذه الصحوة الإعلامية العربية والإيرانية والتّركية، كما يرى"دباشي"، في تحقيق هدفها، المتمثّل في دحض مجمل ما يُمثّل تشويها للإنسان والثّقافة الشرقيّين؟إنّ مثل هذا العمل يجب أن يأخذ في حسبانه قوّة المنظومة الفكرية الغربية وصلابة رؤاها ومنطلقاتها، التي هي أساس التّمثيلات التي تُطلق حول الشرق، والتي تجد لها منابر قويّة،

في الأدب والسينما ووسائل الإعلام ووسائل التّواصل الاجتماعي، التي غدت سطوتُها أكبر من أيّة وسائل أخرى، وبما أنّ تلاعبات الفكر الغربيّ باقية، دون تغيير يُذكر، فإنّ الحلّ يكمن حسب"دباشي" في عدم الاهتمام بالرّد على تلك التّمثيلات والمضيّ قدما دون التفات لها، لأنّ الغرب لا يسمع ولا يهتمّ، مدّعيا امتلاكه عالمَ الأفكار وامتلاك سلطة أسلافه، التي لم تتزحزح، ويرى أنّه «**لم يعد علينا مخاطبةُ محاورٍ ميتٍ بعد اليوم، أوروبا ميتة**»[11]. وإذا كانت أروبا والغرب لا تسمع ولا تهتمّ، فإنّ علينا-نحن العرب- خلقَ الظروف النّفسية والاجتماعية، والبناءات العقليّة، التي تُحقّق النّهضة وتُيسّر إعادة إنشاء الحضارة، كما يذهب إلى ذلك "مالك بن نبي"، وذلك بتحقيق الاستقلال الاقتصادي، المدعِّم للاستقلال السياسي، ثمّ صناعة الأفكار، لأنّ المجتمع لا ينهض بالأفكار المستورَدة أو المفروضة عليه من الخارج، وعليه فإنّ مهمّة المثقّفين العرب اليوم تكمن في صناعة معرفة عربيّة، وصناعة هذه المعرفة تعني عدم الالتفات إلى الغرب ولا إلى منظومته المعرفيّة، التي ما تزال تُشيطن العرب والشرقيّين، وفي هذا المعنى يذهب "بن نبي" إلى «**إنّ تطوّر العلم لا يناط بالمعطيات العلمية فحسب، بل بكلّ الظروف النّفسيّة الاجتماعيّة التي تتكوّن في مناخ معيّن**»[12]. فمجاوزة المعطيات العلمية الغربية، التي تُهيمن على معارفنا العربية، وتأسرنا ضمن التّصوّر الأروبي، الذي له وقع عظيم في نفسيّة الإنسان العربي، المنبهر بمنتجات الحضارة الغربيّة، والعاجز عن تمثّلها في الوقت ذاته، لا يتمّ، حسب" بن نبي" إلّا ضمن حركيّة قائمة على توفير الظروف النّفسيّة والاجتماعيّة، انطلاقا من عناصر الثّقافة العربية المتجذّرة في نفوس العرب، ومواكبة السياقات العصريّة، التي تفرض توفّر رؤى جديدة، تسمح لنا بتكوين حضارتنا، وبما أنّ الاستعمار ما يزال حاضرا، جاثما على جزء من وطننا العربيّ، في فلسطين، والعراق وسوريا ولبنان، فإنّ قلب الأوضاع لن يتمّ إلّا من خلال مجابهةِ القوّة بالقوّة، بالموازاة مع خلق الظروف الاجتماعية لإعادة بناء الحضارة العربيّة المعاصرة، والعنف يبقى السبيل الوحيد لإحقاق الحقّ وإبطال كلّ الإساءات في حقّ الشرقيّين، وقلب الأوضاع الاستعماريّة، كما صرخ يوما "فرانز فانون" بأنّ العنف لا يُجابه إلّا بالعنف، إذ

ISSN: 2352-9830 EISSN: 2600-6898

يرى أنّ «**إنّ انبثاق الأمّة الجديدة، وتدمير النّظم الاستعمارية هما...ثمرة عنفٍ يقوم به الشعبُ المستعمَر...**»[13]. فتوفير الظروف النّفسيّة من أجل تأسيس معرفة عربيّة، انطلاقا من توفير البناء العقليّ لذلك، واستعادة إنتاج الأفكار، كما ذهب"بن نبي"، وتأسيس منظومة معرفية (عربية-شرقيّة) لا اتّصال لها بالمنظومة الغربيّة، التي لم تعد تسمع لصوت الآخرين، كما يعتقد"دباشي"، ومجابهة العنف بالعنف كسبيل أساسيّ لاستكمال عمليّات المقاومة وتحرير الأنفس بحسب"فانون"، وفي هذه الأفكار يكمن الحلّ، بالنّسبة للعالم العربي والشرق، من أجل الخروج من الوضع المأزوم الذي يعيشه.

---

*- يُنظر؛ مالك بن نبي، إنتاجُ المستشرقين وأثرُه في الفكر الإسلاميّ الحديث، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، 1969، ص 5

1- مالك بن نبي، إنتاجُ المستشرقين وأثرُه في الفكر الإسلاميّ الحديث، ص 25

**- ينفي "إدوارد سعيد" وجود كيانين يُسمّيان بـ"الغرب" و"الشرق"، في سياق نقده للمركزية الأوروبية، التي تُحيل كلَّ محتوى معرفي إلى أوروبا، بينما هو نتاج تراكم تاريخي، يعود إلى الحضارات الشرقيّة السامية-العربية (في بابل وأكد وآشور وصور ومصر وغيرها). يُنظر؛ إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة السّلطة الإنشاء، تعريب كمال أبوديب، مؤسّسة الأبحاث العربية،بيروت، الطبعة الأولى، 1981

2- إدوارد سعيد، تغطيةُ الإسلام، ترجمة محمّد كرزون، دار نينوى للدّراسات والنّشر، دمشق، 2006،المقدّمة، ص 7

3- إدوارد سعيد، الاستشراقُ، المعرفة السّلطة الإنشاء، تعريب كمال أبوديب، مؤسّسة الأبحاث العربية،بيروت، الطبعة الأولى، 1981، مقدّمة المؤلّف، ص42

***- يُنظر؛ هيغل، فينومينولوجيا الرّوح، ترجمة ناجي العوْنلّي، المنظّمة العربية للتّرجمة ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة. بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص 273

****- حميد دباشي Hamid Dabashi أكاديميّ أمريكيّ من أصول إيرانية، وُلد سنة 1951 بإيران، وهو أستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك، له قرابة 25 كتابا، ومؤلّف لأكثر من مئة مقال ومراجعة، كتب حول مواضيع تتراوح بين الدّراسات الإيرانية والإسلام في العصور الوسطى والحديثة والأدب المقارن، إلى السينما العالمية وفلسفة الفنّ (علم الجمال)، تُرجمت كتبه ومقالاته إلى العديد من اللّغات، كما قام بأكثر من دور

مرجعيّ في أفلام سينمائية تتعلّق بالإسلام والتّاريخ الإسلاميّ مثل استشارته في فيلم (مملكة السماء) Kingdom of Heaven للمخرج الأمريكي ريدلي سكوت عام 2005، كما أنّ آخر كتبه صدورا هو " أوربا وظلالها" Europe and its shadows عن دار Pluto سنة 2020. يُنظر؛ حوار مع البروفيسور حميد دباشي، مجلّة أوج العدد الثامن (8) 2021، مجلّة دورية تصدر عن مركز دلائل، الرياض. المملكة السّعودية، ص 26/25

[4]- حوارٌ مع البروفيسور حميد دباشي، مجلّة أوج مجلّة أوج العدد الثّامن (8) مجلّة دورية تصدر عن مركز دلائل، الرّياض. المملكة السّعودية، 2021

العدد الثّامن (8) 2021، ص 31

[5]- سالم يفوت، حفرياتُ الاستشراق، في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثّقافي العربي. الدّار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989، ص 12

[6]- يُنظر؛ مارتن برنال، أثينةُ السوداء؛ الجذورُ الآفرو-آسيوية للحضارة الكلاسيكية. الجزء الأول؛ تلفيق بلاد الاغريق . ترجمة لطفي عبد الوهاب يحي وفاروق القاضي وحسين الشيخ ومنيرة كروان وعبد الوهب علّوب، المجلس الأعلى للثّقافة القاهرة 2002، ويُنظر كذلك؛ Pierre Rossi, La cité d'Isis, histoire vraie des Arabes, Nouvelles éditions Latines, Paris, 1976

[7]- حميد دباشي، هل يستطيعُ غير الأوربيين التّفكير؟ ترجمة عماد الأحمد، دار المتوسّط. إيطاليا، الطبعة الأولى. 2016، ص 29

[8]- حميد دباشي، هل يستطيعُ غير الأوروبيّين التّفكير؟ ص 29/28

[9]- يُنظر؛ حميد دباشي، مابعد الاستشراق، المعرفةُ والسّلطة في زمن الإرهاب، ترجمة باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسّط. إيطاليا، الطبعة الأولى، 2015

[10]- حوارٌ مع البروفيسور حميد دباشي، مجلّة أوج؛ مجلّة دورية تصدر عن مركز دلائل. الرياض، السعودية، العدد الثّامن (8) 2021 ، ص 30

[11]- حميد دباشي، هل يستطيعُ غير الأوربيين التّفكير؟ ص 22

[12]- مالك بن نبي، إنتاجُ المستشرقين وأثرُه في الفكر الإسلاميّ الحديث، ص 28 ، ويُنظر كذلك ص 48

[13]- فرانتز فانون، معذّبُو الأرض، ترجمة سامي الدّروبي وجمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنّشر القاهرة الطبعة الثّانية، 2015، ص 65

ISSN: 2352-9830 *EISSN: 2600-6898*